

مولد القديس يوحنا المعمدان السابق الأول لمجيء المسيح

طروبارية القيامة على اللحن الثاني: - عندما انحدرت الى الموت، أيها الحياة الذي لا يموت حينئذ أممت الجحيم ببرق لاهوتك وعندما أقيمت الأموات من تحت الثرى صرخ نحوك جميع القوات السماويين: أيها المسيح الاله معطي الحياة المجد لك.



القديسان زخريا وأليصابات ومولد القديس يوحنا المعمدان

الرسالة

يفرح الصديق بالرب استمع يا الله لصوتي

فصل من رسالة القديس بولس الرسول الى اهل رومية (١٣: ١١ - ١٤: ٤)

يا إخوة ان خلاصنا الآن أقرب مما كان حين آما ❖ قد تناهى الليل واقترب النهار فلندع عتاً أعمال الظلمة ونلبس أسلحة النور ❖ لنسلكن سلوكاً لائقاً كما في النهار لا بالقصوف والسكر

وهذا سيكشفه أيضاً الملاك الذي يجبر زكرياً بأنّ الطفل «يتلى من الروح القدس»، ما يعني أنّه سيكون نبياً. بعض الأنبياء نال المهمة النبوية وهو كبير السنّ مثل عاموس. وآخرون، مثل يوحنا، دُعوا منذ اللحظة الأولى من حياتهم، وهم لا يزالون في بطون أمهاتهم. هذا ما حدث لشمشون (قصة ١٣: ١٦؛ ١٧: ١) وإرياء (١: ٥): «قبل أن أصوّرك في البطن عرفتك (أي اختزتك، دعوتك)، وقبل أن تخرج من الرحم قدسك (أي كرسك) وجعلتك نبياً إلى الأمم». وهناك عبد الله الذي قال عنه إشعيا النبي «الرب دعائي منذ كنت في الحشاء، وذكر اسمي وأنا في بطن أمي» (٤٩: ١). هذا يعني أنّ الرب أعدّ هذا الشخص من أجل رسالة. هذا ما اكتشفه بولس الرسول في ما بعد: «الله الذي فرزني منذ كنت في جوف أمي ودعائي بنعمته» (غلاطيه ١: ١٦).

سيحقق يوحنا الكاهن والني، انتظارات اليهود بعودة إيليا قبل مجيء المسيح. وقد صارت هذه العودة، «عودة إيليا»، منتظرة منذ ملاحمي (٤: ٥). وسيقدم لنا لوقا أوجه الشبه بين المعمدان وإيليا في الفصل الثالث (لوقا ٣: ١-٢١). فإذا كان يوحنا حقق نبوءة عودة إيليا، فيسوع، إذاً، يكون هو المسيح المنتظر. هذا ما قاله يسوع بنفسه (متى ١١: ١٤-١٥).

كما بدأ إنجيل لوقا في الهيكل، مع بشارة زكرياً، سينتهي في الهيكل. ففي ساعة الصلب، نقرأ عند لوقا «أظلمت الشمس وانشق حجاب الهيكل» (٢٣: ٤٥). وهذا الحجاب هو الذي يفصل بين المكان الذي تقف فيه عاتمة الناس، والمكان الذي يقف فيه الكهنة للصلاة ولتقديم البخور. وكأنّ لوقا يقول لنا إنّ العهد القديم قد انتهى بمجيء المسيح. ذلك بأنّ الحجاب الذي كان اليهود يعتقدون أنّ الرب يجتفي خلفه قد انشق للدلالة على أنّ العهد الجديد قد بدأ وما عاد هناك من حاجز بين الناس والله.

بصورة جديدة في البرّ والقداسة. وبدأ زكرياً خدمته، فقد كان على كلّ كاهن أن يؤمن الخدمة الليتورجية أسوعين في السنة، أما مهمات كلّ يوم بيومه فكانت تتمّ بالقرعة. أما الخدمة الاحتفالية الكبرى فهي تقديمه البخور (خروج ٣٠: ١-٩)، وكانت تتمّ مرتين، مرّة في الصباح قبل المحرقة، ومرّة بعد الظهر نحو الساعة الثالثة. وما كان للكاهن أن يقوم بما إلاّ مرّة واحدة في حياته. «ظهر ملاك الربّ». عن يمين مذبح البخور. الجلوس عن اليمين يدلّ على الكرامة والعظمة (مزمو ١١٠: ٤؛ حزقيال ٣: ١٠) «الكروبيم واقفون عن يمين بيت الله». وجهة اليمين تدلّ على الخلاص (متى ٢٥: ٣٣).

يعلم الملاك لزكرياً الكاهن رسالة يوحنا، وصفاته. يقول «سيكون عظيماً أمام الربّ»، وهذا ما سيقله عنه يسوع بنفسه «أعظم مواليد النساء»، و«أعظم من نبي» (لوقا ٧: ٢٧-٢٨). وهذا ما تردّده طروبارية القديس في كنيستنا، إذ نقول فيها «لأنك ظهرت في الحقيقة أعظم من جميع الأنبياء لأنك استأهلت أن تعتمد في الجاري من قد كرزوا هم به».

ويكمل الملاك قوله بأنّ هذا الطفل «لن يشرب خمراً»، وهي عبارة تصف حياة المكرّسين للربّ. أوصى الربّ الكهنة المكرّسين «لا تشرب خمراً ولا مسكراً، لا أنت ولا بنوك، حين تدخلون خيمة الاجتماع» (لاويين ١٠: ٩). وطلب الله من والده شمشون «لا تشربي خمراً ولا مسكراً، ولا تأكلي شيئاً نجساً» (قصة ١٣: ٤). صحيح أنّ الكهنتون انتقل إلى يوحنا، فالكهنتون اليهودي ينتقل حصراً بالوراثة، وهكذا يكون يوحنا كاهناً بكلّ معنى الكلمة، مقدّساً لله ومكرّماً لخدمته. ولكنه سيختار أن يكون مثل إرمياء النبي، الذي ترك الكهنتون لخدمة الرسالة النبوية التي أوكلت إليه من الله. وإذا كان التكريس يرتبط برسالة، فرسالة يوحنا لن تكون الكهنتون بل ستكون النبوة، فهو النبي الذي يفتتح زمن ملكوت المسيح.

الاسم ***** ثم أومأوا إلى أبيه ماذا يريد أن يُسمى ***** فطلب لوحًا وكتب فيه قائلاً: اسمه يوحنا، فعمجّبوا كلهم ***** وفي الحال انفتح فمه ولسانه وتكلم مباركا الله ***** فوقع خوفٌ على جميع جيرانهم وتُخِذَتْ بهذه الأمور كلها في جميع جبال اليهودية ***** وكان كلٌّ من يسمع بذلك يحفظه في قلبه ويقول: ما عسى أن يكون هذا الصبي؟ وكانت يد الرب معه ***** فامتلاً أبوه زخريا من الروح القدس وتنبأ قائلاً: مبارك الرب إله إسرائيل لأنه افتقد وصنع فداء لشعبه ***** وأنت أيها الصبي نبي العلي تُدعى لأنك تسبق أمام وجه الرب لتعدّ طريقه ***** أما الصبي فكان ينام ويتوقّى بالروح، وكان في البراري إلى يوم ظهوره لإسرائيل.

رسالة المعمدان

في الرابع والعشرين من شهر حزيران، أي قبل سنة أشهر من ولادة المخلص تحفل الكنيسة بولادة آخر الأنبياء: يوحنا المعمدان. وذلك بناءً على ما ورد في إنجيل لوقا (١: ٢٦) من أنّ الملاك بشر مرثم بولادة يسوع بعد سنة أشهر من البشارة بولادة يوحنا.

في النصّ الذي نقرأه الكنيسة في قدّاس العيد المأخوذ من الفصل الأوّل من إنجيل لوقا، نقرأ خبري بشارّة الملاك لزكريّا وولادة يوحنا المعمدان، وهما يعتبران مقدّمة لخبري بشارّة العذراء وميلاد يسوع. الخبران المختصّان بالمعمدان كما عبّر عنهما لوقا الإنجيليّ فيهما الكثير من الشبه بنصوص العهد القديم، ونخبرنا عن رسالة هذا الطفل.

بيدأ خبر البشارة بمولد المعمدان كما بيدأ خبر سفر يهوديت «في أيّام ارفكشاد» (يه ١: ١)، وكما تبدأ قصّة شمشون «وكان رجل من صرعة من قبيلة دان اسمه منوح» (قضاة ١٣: ٢). «كان كاهن من فرقة أيّبا اسمه زكريّا» (لوقا ١: ٥). ويذكر الخبر هيرودوس ملك اليهودية، بينما في خبر ميلاد يسوع نجد أنّ المرجع التاريخي هو «أوغسطس قيصر» (١: ٢)، فيعطي لوقا الإنجيليّ بذلك لميلاد يسوع طابعاً شاملاً أكثر يمتد إلى كلّ العالم، ولا ينحصر في اليهودية. فيسوع يحمل الخلاص لكلّ العالم.

زكريّا الكاهن (معنى اسمه الرب تذكّر)، والد

المعمدان، ينتمي إلى الفئة الثامنة من الفئات الأربع والعشرين الكهنوتية التي يتكلم عليها سفر أخبار الأيام الأوّل (٢٤: ٧-١٧). أمّا والدته أليصابات (يعني اسمها الله أقسم) فكانت هي أيضاً من نسل هارون. فعلى الكاهن أن يتزوّج بنتاً من سبيلة الكهنة حسب متطلّبات الشريعة الكهنوتية. هما بازان أمام الله، أي حافظان لكلّ وصايا الشريعة. زكريّا وأليصابات يسيران في كلّ وصايا الله وفراضه. لا عيب فيهما ولا لوم (لوقا ١: ٦) غير أنّهما يبدوان كموضوع عقاب إلهيّ. فأليصابات تشبه حتّة أم صموئيل النبيّ، التي حبس الربّ رحمها (١ صموئيل ١: ٥-٦)، وتشبه ميكال ابنة شاول وزوجة داود (٢ صموئيل ٦: ٢٣). إنّها عاقر. ثم إنّ الزوجين قد طعنا بداءة جديدة كما حصل لهما. نقرأ في سفر التكوين «وكانت ساراي (أو سارة) عاقراً ليس لها ولد» (١: ٣٠). وتشكى إبراهيم إلى الله لأنه لم يرزقه ولداً (تكوين ١٠: ١٨؛ ١٤: ١٥؛ ١-٤). لكنّ الربّ سيدخل هنا كما تدخل، هناك.

ينتمي يوحنا إلى الوجوه الكبرى في تاريخ الخلاص، فهؤلاء كانوا أولاد نساء عواقر. إنّهم عطية الله ونتيجة تدخل إلهي في طبيعتنا الضعيفة. هذا ما كان وضع إسحق (تكوين ١٧: ١٦) وشمشون مخلص شعبه والقاضي في أموره (قضاة ١٣: ٢) وسموئيل (١ صموئيل ١-٢). كان يوحنا ابن النعمة، وتكرس لله

ولا بالمصاحح والعهر ولا بالخصام والحسد ***** بل إيسوا الربّ يسوع المسيح ولا تهتموا بأجسادكم لقضاء شهواتها ***** من كان ضعيفاً في الإيمان فاتخذوه بغير مباحنة في الآراء ***** من الناس من يعتقد أنّ له أنّ يأكل كلّ شيء. أمّا الضعيف فيأكل بقولاً ***** فلا يزدِر الذي يأكل من لا يأكل ولا يدين الذي لا يأكل من يأكل فإن الله قد اتّخذهُ ***** من أنت يا من تدين عبداً أجنبياً. إنّه لمولاه ينبت أو يسقط. لكنّه سيُنبت لأنّ الله قادرٌ على أن ينبتهُ.

الإنجيل

فصلٌ شريف من بشارّة القديس لوقا الإنجيلي البشير،
التلميذ الطاهر (لوقا ١: ١-٢٥ و ٥٧-٦٧ و ٧٦ و ٨٠)

إذ كان كثيرون قد أخذوا في تأليف قصص الأمور المتيقنة عندنا، كما سلّمها إلينا الذين كانوا فعائين منذ البدء وخذّاماً لها، رأيت أنا أيضاً وقد تبعّت جميع الأشياء من الأوّل بتدقيق أن أكسبها لك على الترتيب أيّها العزيز ثاوفيلس، لتعرف صحّة الكلام الذي وعظت به ***** كان في أيّام هيرودس ملك اليهودية كاهنٌ اسمه زخريا من فرقة أيّبا وامرأته من بنات هارون اسمها أليصابات ***** وكانا كلاهما بازيين أمام الله، سائرين في جميع وصايا الربّ وأحكامه بغير لوم ***** ولم يكن لهما ولدٌ لأنّ أليصابات كانت عاقراً، وكانا كلاهما قد تقدّما في أيّامهما ***** وبينما كان يكهن في نوبة فرقة أمام الله، أصابته القرعة على عادة الكهنوت أن يدخل هيكل الربّ ويبخّر ***** وكان كلّ جمهور الشعب يُصلي خارجاً في وقت البخور ***** فتراى له ملاك الربّ واقفاً عن يمين مذبح البخور ***** فاضطرب زخريا حين رآه ووقع عليه خوف ***** فقال له الملاك: لا تخف يا زخريا، فإنّ طلبتك قد استجيبت، وامرأتك أليصابات ستلد لك ابناً فتسميه يوحنا ***** ويكون لك فرح وابتهاج ويفرح كثيرون بمولده ***** لأنّه يكون عظيماً أمام الربّ ولا يشرب خمراً ولا مسكراً، ويمتلئ من الروح القدس وهو في بطن أمه بعد أن يولد ***** ويؤدّ كثيرين من بني إسرائيل إلى الربّ إلههم ***** وهو يتقدّم أمامه بروح إيليا وقوته ليؤدّ قلوب الآباء إلى الأبناء والغصاة إلى حكمة الأبرار ويهتئ للربّ شعباً مستعداً ***** فقال زخريا للملاك: بهم أعلم هذا، فإني أنا شيخ، وامرأتي قد تقدّمت في أيّامها ***** فأجاب الملاك وقال: أنا جبرائيل الواقف أمام الله وقد أرسلتُ لأكلمك وأبشرك بهذا ***** وها إنك تكون صامتاً فلا تستطيع أن تكلم إلى يوم يكون هذا، لأنك لم تُصدّق كلامي الذي سيتمّ في أوّانه ***** وكان الشعب منتظرين زخريا متعجبين من إبطائه في الهيكل ***** فلما خرج لم يستطع أن يكلمهم، فعلموا أنّه قد رأى رؤيا في الهيكل، وكان يُشير إليهم وبقي أبكم ***** ولما تمت أيّام خدمته مضى إلى بيته ***** ومن بعد تلك الأيّام حبلت أليصابات امرأته فاخبت خمسة أشهر قائلة: هكذا صنع بي الربّ في الأيّام التي نظر إليّ فيها ليصرف عني العار بين الناس ***** ولما تمّ زمان وضعها، ولدت ابناً ***** فسمع جيرانها وأقاربها أنّ الربّ قد عظم رحمته لها ففرحوا معها ***** وفي اليوم الثامن جاؤوا ليختنوا الصبي فدعوه باسم أبيه زخريا ***** فأجابت أمّه قائلة: كلا لكنّه يُدعى يوحنا ***** فقالوا: ليس أحد في عشيرتك يُدعى بهذا